

الحلقة التاسعة عشرة

أمثال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن أمثال المخلص يسوع المسيح. ويقارن المثل بين شيء مألوف للناس، وآخر غير مألوف لديهم. وذلك لإيضاح حقائق يريد صاحب المثل إيصالها إليهم.

ولقد استخدم المسيح الكثير من الأمثال، لإيضاح الحقائق الروحية، وليكشف الهدف الذي أتى من أجله. وكنا قد تكلمنا في اللقاء السابق عن مثل رفض المدعوين تلبية الدعوة للعشاء. فقام صاحب الدعوة بدعوة الناس المساكين، والمنتشرين في الشوارع. وهذا يشير إلى أن الله يدعو جميع الناس إلى ملكوته وخلصه.

مستمعي الكريم، نعيش في عالم مليء بالفساد والرشوة. ولا يخلو مجتمع من هذه الظواهر المؤلمة. وقد يظن البعض أن هذه الظواهر الفاسدة هي من سمات عصرنا الحالي. لكن لو عدنا إلى المجتمعات القديمة لوجدنا فيها هذه الظواهر نفسها، وإن بشكل أقل انتشاراً وحدة.

تحدث المخلص المسيح عن مثل الوكيل الخائن فقال لتلاميذه: « كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ لَهُ وَكِيْلٌ، فَوُشِيَ بِهِ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ يُبَدِّرُ أَمْوَالَهُ. فَدَعَاهُ وَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا الَّذِي أَسْمَعُ عَنْكَ؟ أَعْطَيْتَ حِسَابَ وَكَالَتِكَ لِأَنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَكُونَ وَكِيْلًا بَعْدُ. فَقَالَ الْوَكِيْلُ فِي نَفْسِهِ: مَاذَا أَفْعَلُ؟ لِأَنَّ سَيِّدِي يَأْخُذُ مِنِّي الْوَكَايَةَ. لَسْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْقُبَ، وَأَسْتَحِي أَنْ أَسْتَعْطِي. قَدْ عَلِمْتُ مَاذَا أَفْعَلُ، حَتَّى إِذَا عُرِزْتُ عَنِ الْوَكَايَةِ يَقْبَلُونِي فِي بُيُوتِهِمْ. فَدَعَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ مَدْيُونِي سَيِّدِهِ، وَقَالَ لِلأَوَّلِ: كَمْ عَلَيْكَ لِسَيِّدِي؟ فَقَالَ: مِئَةٌ بَتَّ زَيْتٍ. فَقَالَ لَهُ: خذْ صَكَكَ وَاجْلِسْ عَاجِلًا وَاكْتُبْ خَمْسِينَ. ثُمَّ قَالَ لِآخَرَ: وَأَنْتَ كَمْ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: مِئَةٌ كَرٌّ قَمْحٍ. فَقَالَ لَهُ: خذْ صَكَكَ وَاكْتُبْ ثَمَانِينَ. فَمدَحَ السَيِّدُ وَكِيْلَ الظُّلْمِ إِذْ بِحِكْمَةٍ فَعَلَ» وهنا علق المسيح قائلاً: « لِأَنَّ أَبْنَاءَ هَذَا الدَّهْرِ أَحْكَمُ مِنْ أَبْنَاءِ النُّورِ فِي جِبِلِّهِمْ. وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: اصْنَعُوا لَكُمْ أَصْدِقَاءَ بِمَالِ الظُّلْمِ، حَتَّى إِذَا فَنَيْتُمْ يَقْبَلُونَكُمْ فِي الْمَظَالِّ الأَبَدِيَّةِ. الأَمِينُ فِي القَلِيلِ أَمِينٌ أَيْضًا فِي الكَثِيرِ، وَالظَّالِمُ فِي

الْقَلِيلِ ظَالِمٌ أَيْضًا فِي الْكَثِيرِ. فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أَمْنَاءَ فِي مَالِ الظُّلْمِ، فَمَنْ يَأْتَمِنُكُمْ عَلَى الْحَقِّ؟ وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أَمْنَاءَ فِي مَا هُوَ لِلغَيْرِ، فَمَنْ يُعْطِيكُمْ مَا هُوَ لَكُمْ؟» (بشارة لوقا ١٦: ١-١٣).

تحدّث لنا المخلص المسيح بهذا المثل عن أمر واقعي يحصل مع الكثيرين في أيامنا هذه. فقد سمع صاحب المال أن وكيله الذي وثق به يبذّر أمواله، أي أنه لم يكن حريصاً عليها. فدعاه وطلب منه أن يسلم وكالته. وعلم الوكيل حينئذ أنه سيفقد وظيفته ومصدر رزقه، فخطط بحكمة ودهاء لمستقبله. وكانت الخطة أن يطلب من مديوني سيده أن يعيدوا كتابة الصك الذي عليهم. فالذي عليه دين بمئة بث زيت، طلب منه أن يكتب خمسين. والذي عليه دين بمئة كرّ قمح، طلب منه أن يكتب ثمانين، وهكذا دواليك. وبذلك كسب هذا الوكيل ثقة المديونين، وضمن مساعدتهم له في المستقبل، عندما يفقد عمله. وعندما علم صاحب المال ما عمله هذا الوكيل أعجب بذكائه وامتدحه، لأنه استطاع تأمين مستقبله.

وهنا علّق المخلص المسيح قائلاً: أن أبناء هذا الدهر أي الناس الأشرار، هم أحكم من أبناء النور أي المؤمنين بالمسيح، في كيفية تدبير أمورهم المادية، ومستقبلهم، أي عن طريق الحيلة والمكر. هنا طلب المخلص المسيح من المؤمنين به أن يكونوا حكماء بالنسبة لمستقبلهم الأبدي. وذلك بأن يستخدموا الأموال التي يحصلوها، وسماها بأموال الظلم، أن يستخدموها في عمل الرب وفي الكرازة برسالة الخلاص. وهكذا يربحون النفوس للملكوت الأبدي، أي يكون هناك ثمر لخدمتهم.

وأضاف المخلص المسيح قائلاً: أن الأمين في القليل، يكون أميناً في الكثير. وأن الظالم في القليل يكون ظالماً في الكثير. أي أن المهم في الأمر هو أمانة الإنسان. وتساءل المسيح قائلاً: إن لم يكن الإنسان أميناً في مال الظلم، فمن يأتّمنه على الحق؟ وإن لم يكن أميناً في ما هو للغير، فمن يعطيه ما هو حق له؟ أجل مستمعي إن الأمانة هي من الأمور الهامة التي يجب أن يتحلّى بها المرء. وعندما يفقد الأمانة تُهان كرامته، وتتلوث سمعته، حتى وإن استطاع أن يضمن لنفسه مصدر عيشه، ويؤمن مستقبله. وفي المقابل إن الأمين لا بد أن ينجح في أعماله، ولا بد أن يكافئه الله على أمانته، وإن بدا الأمر عكس ذلك.

هل تعلم مستمعي أنه من الصعب في هذه الأيام التي كثر فيها الفساد أن يكون الإنسان أميناً؟ فهناك إغراءات كثيرة تجذب الإنسان وتحاول إيقاعه، ودائماً يكون الهدف الحصول على المزيد من المال، وبأقصر الطرق. لكن هل هذا هو الطريق الأسلم؟

بالطبع كلا. والأمانة لا تقتصر على الناحية المالية، فهناك الأمانة في تأدية العمل، والأمانة في الوقت والمواعيد، والأمانة تجاه زملائنا وأصدقائنا، والأمانة في إيصال الأغراض والرسائل، والأمانة في كتم الأسرار. فهل أنت أمين مستمعي في مختلف مجالات حياتك؟

لدينا في الكتاب المقدس أمثلة عديدة عن أناس كانوا أمناء، وتحملوا الضيق والإهانة جراء أمانتهم، لكنهم نالوا بركات الله نتيجة أمانتهم. ومنهم يوسف الصديق، والنبى دانيال، والرسول بولس وغيرهم الكثير. ولقد حثنا الله على الأمانة ودعانا لكي نسعى إليها. كما رأينا من هذا المثل الوكيل الخائن. وكتب سليمان الحكيم في سفر الأمثال قائلاً: « **الرجل الأمين كثير البركات والمستعجل إلى الغنى لا يبرأ** » (أمثال ٢٨: ٢٠). وهذه حقيقة واضحة يلمسها الكثيرون في حياتهم العملية.

لكن السؤال هو: كيف باستطاعتنا أن نكون أمناء؟ وهل مجرد تصميمنا أن نكون أمناء يجعلنا حقاً أمناء؟ إننا كبشر خطاة لا نستطيع أن نكون أمناء. بينما تكون الأمانة جزء لا يتجزأ من صفات الإنسان الجديد. وهكذا عندما نأتي بالتوبة إلى الله، ونؤمن بالفادي المسيح، يخلقنا الله خليقة جديدة، ويحل فينا صفة الأمانة مع غيرها من الصفات الحميدة. فهل تود مستمعي حقاً أن تكون أميناً فتتال بركات الله؟